العدد (1879) السنة الثامنة - الاحـد (15) آب 2010 ◆ http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com

لاعـــب المـحـيـبـس الأول في الـعـــراق

جاسم الأسود: لست ساحراً وأستطيع خطف المحبس من أيدي آلاف اللاعبين

خجول متواضع ويخشى النساء وتخاف نظراته مئات الرجال

حاوره: فرات إبراهيم

في بغداد وحدها إذا أردت ذكر أسماء معينة لها شعبيتها وجمهورها ومعجبوها فعليك أن تعد الكثير من الأسماء التي يختص كل واحد منها بأمر معين، فمنهم من وجد شعبيته وسط أجواء لعب كرة القدم وآخر ضمن أجواء المطاعم ومحال بيع الشربت وآخرون عرفوا بمهارات لم يسبقهم إليها أحد أو يدانيهم على شهرتها... جاسم الأسود واحد من تلك الأسماء التي لمعت في أجواء بغداد واحتفالياتها الرمضانية، فما أن يذكر الأسود حتى ترتعد قلوب الفرق المنافسة وترتجف أيدي اللاعبين كأنها تصرخ بأن يطلقها لترتاح من الضم والإخفاء.

مارس اللعب مع الأسطوات وتشبّع من مهاراتهم وأغترف منها حتى أصبح اسمه ينافس أقسى اللاعبين وأقدرهم، مرة زار وفد صحفي من وكالة أجنبية معروفة جاسم الأسود وحاولوا اختباره بأن خرج من الفرقة وقاموا هم بضم المحبس فيما بينهم، وما أن نادوا عليه لأن يعرف أين المحبس حتى نظر إلى الوجوه وقال لا يوجد محبس وبالفعل لم يكن هنالك محبس لأنهم أرادوا أن يوهموه بالأمر، حينها صرخت إحدى الصحفيات بوجه جاسم الأسود بأنه (ساحر) .. حوارنا كان طويلاً معه وهذا جزء مما اقتطعناه من هذا الحوار.

× لماذا لا نشاهد دولاً أخرى تمارس هذه اللعبة واقتصرت تقريبا على العراق.. هل هناك تفسير؟

– اللعبة تمتد إلى زمن العباسيين وحالها حال أي لعبة أخرى تختص بها الشعوب، فقد أختص العراقيون بمناطقهم الشعبية وأخص البغداديين منهم بهذه اللعبة الجميلة، وتوجد مناطق أخرى تمارس هذه اللعبة بطريقة مختلفة مثل مناطق الشمال في كردستان حيث يمارسونها بطريقة إخفاء المحبس بالفناجين.

× هل تتذكر أيامك الأولى مع هذه اللعبة؟

– في ١٩٧٨/١٢/٩كانت بداية شهرتي في هذه اللعبة وكان ذلك في نهائي بطولة بين فريق الكاظمية وفريق الفضل إبتدأت اللعبة في الساعة التاسعة مساء وانتهت في الساعة التاسعة صباحاً وعدنا من الفضل إلى الكاظمية مشياً على الأقدام.

× قلت لي أن شهرتك بدأت عام ١٩٧٨ أريد منك الآن أن تقول لي كيف بدأ هذا الحب لتلك اللعبة قبل هذا الوقت؟

– في الخمسينات والستينات من القرن الماضي كنت صغيراً وكنت أشاهد المرحوم عزيز دوش وشنيار الكاظمي وفيصل المعيدي من العوينات ورشيد الأجدد من الكرخ... هؤلاء كانوا أساتذة وكنت أحب مشاهدتهم.

× مَن مِن فرق المحافظات كان جاسم الأسود بعد شهرته يحسب له حساباً باعتبار أن اللعبة بغدادية؟

– كربلاء فريق غير طبيعي ومنافس شديد لفريقي الكاظمية، ثلاث سنوات يصعدون على النهائي معي وأحسب لهم حساباً كبيراً باعتبارهم الفريق الذي يأتي من بعدي.

× في ذلك الوقت من هي الفرق البغدادية التي كانت معروفة ولها شأن في هذه اللعبة؟

– الفضل والكرادة والشعلة والوشاش وقنبر علي وبغداد الجديدة وباب الشيخ وفرق المحافظات مثل كربلاء والحلة والنجف.

× من كان ينافس الأسود في ذلك الوقت ويحسب له حساباً؟

– فريق الفضل والكرادة حجي سهيل وخالد علو.

× بماذا كانوا يمتازون عن الأسود في هذه اللعبة؟

– هم كانوا حين يمارسون اللعب يطلقون أيدي اللاعبين بالمفرد، أنا كنت أطلق أيدي اللاعبين بالجملة.

× لعبة المحيبس كما أعرف أنها تعتمد على فراسة اللاعب من أين يأتي بهذه الفراسة هل هي موهبة أم وراثة؟

– نحن في الكاظمية أكثر من خمسمائة عائلة وكلهم لا يلعبون المحيبس، تعلمت هذه اللعبة من خلال مشاركاتي مع أساتذتي السابقين وأعتقد أن لا علاقة لها بالوراثة، لقد مارست اللعبة لربع قرن والكل يشهد لفراستي وقوتي في هذه اللعبة.

× لنتكلم بصراحة لو جئت إليك الآن بعشرة أشخاص أنا أعرفهم وأبيت المحيبس في أيديهم، ما الأمور التي سوف تستخدمها لأجل الفوز بإخراج المحبس.

– كل لاعب له اختيارات في الطلب منهم من يذهب باتجاه حركة اللاعب ومنهم من يذهب باتجاه الوجه والتقاسيم أنا أذهب بهذا الاتجاه، لكل لاعب لديه كاميرا خاصة به حين يشاهدهم أول مرة ثم يعود مرة أخرى يشاهد الأبيض بدأ يحمر والأسمر يصبح لونه قريباً إلى الأزرق وحين أتأكد من هذا الأمر تبدأ مرحلة اليدين وحركتها.

× هل تذكر موقفاً طريفاً حول هذه الحالة؟

– في عام ١٩٩٤ عملوا لقاء معي في إحدى الصحف وقالوا لي أذهب خارجاً سنبيت المحبس وكان من ضمنهم الدكتور الأدهمي ووضعوا المحبس بعيداً عني ثم قالوا لي أدخل فدخلت عليهم ونظرت في وجوههم فقلت لهم لا يوجد محبس في أيديكم حينها صرخت إحدى المحررات وقالت إنك (ساحر) لأنهم فعلاً لم يضعوا محبساً في أيديهم.

× على ماذا اعتمدت في هذا الأمر.. سبق إن قلت لي إنك تعتمد على الفراسة وقراءة الوجوه ما الذي حدث في هذا الأمر؟

– نظرت إلى كل الوجوه ولم أجد أحداً قد تغير شكله أو لونه وكما قلت استعملت فراستي في هذا الموضوع وقلت لهم جازماً لا يوجد محبس.

× هل تتذكر لي موقفاً معيناً لم يسعفك الحظ فيه؟

– نعم لكل جواد كبوة لعبت مع فريق المشتل وكان فريقي ضعيفاً جداً، كنت أستطيع أن أجلب المحبس لكن فريقي لم يكن يستطيع الاحتفاظ بالمحبس وكانت تلك مباراة غير نافعة بالنسبة لي.

× من اللاعب الذي يخشاه جاسم الأسود؟

– من فريق كربلاء سالم النقاش ومن الفضل خالد عليوي، فأنا أحسب لهما ألف حساب.

× من خلال معرفتك باللعبة وفراستك في قراءة وجوه اللاعبين كيف تقيم أن هذا الفريق ضعيف أو يمتاز بنوع من القوة؟

– عادة ما أرى اللاعبين حين يدخلون إلى اللعب فإذا كانوا من ذوي البشرات السمر فإني أحسب لهم حساباً أما إذا كانوا ذوي وجوه بيض فإن الأمر يكون سهلاً لدي وعادة ما يعرف اللاعبون الخصم. هذه الحالة فيأتون بلاعبين ذوي بشرات سمر جداً لكي يمنعوني من استخدام فراستي في البشرة حين تتغير وقد حدث هذا الأمر مع فريق مدينة الصدر ذات يوم حين جاءوا بأكثر من ستين شخصاً ذوي بشرات سود وأصبح الأمر صعباً إلا أني تمكنت من أخذ المحبس وقد سألني كثيرون عن هذا الأمر إلا أني لم أجب أحداً.

× سمعنا أن لك أكثر من مليوني معجب أين المعجبات من هذا الرقم؟

– (يضحك) بالتأكيد توجد معجبات إلا أني لدي (أم زيد) زوجتي تغنيني عن كل المعجبات.

× هل هذا خوف من أم زيد؟

– على العكس تماماً لدي الكثير من المعجبات يسألنني عن المحبس وموعد المباراة والكثير منهن زبونات يأتين إلى محلي في الكاظمية.

× هل حدث مرة وإن طلبت إحداهن أن تقرأ الكف أو الطالع؟

– لا لم يحدث هذا لكنهن طلبن تعليمهن سر اللعبة فقط، حدث مرة أن سألني أحدهم في اللجنة الأولمبية السابقة عن هذا الأمر فقلت له أنا رجل مؤمن لا أقترب من هذه الأشياء.

× سؤال ربما يكون محرجاً، ما قيمة العقد الذي وقعته اليوم مع قيمة ما كنت تقبضه في أيام النظام السابق؟

– لا توجد مقارنة، فالفرق شاسع وكبير.

× هل تقول عشرة أضعاف؟

– لا قل مئة ضعف ولا تخف.

عـــادات الـشـــعـــوب في رمـضـــان

المغرب : اللباس يختلف في رمضان

لرمضان مكانةٌ عزيزةٌ في نفوس المغاربة فالمؤسسات تمنح موظفيها حرية ترك العمل عندما يُؤذَن الله أكبر ، ويمتد تنزه النفوس عن ملذات الدنيا الفانية إلى الموظفات اللائي يحرصْنَ على أداء الصلوات في بيوت الله أسوةً بالرجال، خاصةً وأنهن يهجرْنَ أثوابهُنَّ الرومية على حد التعبير المغربي، أي المستجيبة لصيحات بيوت الأناقة الأوروبية ويرتدينَ الجلابية الخشنة الواسعة من دون إبراز أي ملامح عن الجسد الذي تلفه. وفي ليلة القَدْر، فإن برنامج الأسرة بأكملها يعرف انقلابًا حيث يتوزعون للقيام بتحضير مائدة بمثابة مأدبة تكريم للأطفال. أما عن أشهر المأكولات المغربية في هذا الشهر: الحريرة، السلو، الشبيكة، كعب الغزال.

تركيا : ثقافة الطعام

من عادات الأتراك في شهر رمضان أن يبدأوا إفطارهم بتناول التمر أو الزيتون، والجبن بأنواعه. وفي شهر رمضان تقوم الأفران والمخابز بعمل خبز خاص لا يُرى إلاّ في شهر رمضان ويسمونه بـ (بيدا) وهي كلمة فارسية تعني الفطير ، وهو نوع من الخبز المستدير بأحجام مختلفة ويباع بسعر أغلى من سعر الخبز العادي، ولما كانت فطائر البيدا تخص شهر رمضان ، فإن الأطفال يقفون في صفوف طويلة قبل موعد الإفطار بقليل للحصول على الفطائر الطازجة. والأتراك عادة من الشعوب الإسلامية التي تتمتع بثقافة فائقة في الطعام والشراب ، وتعتبر الكنافة (العجائن المستديرة والتي تُملأ أو تُحشى بالمكسرات، وتسمى عند أهل الشرق بالقطائف)، والجلاش والبقلاوة من أبرز أنواع الحلويات التي يقبل عليها الأتراك في شهر رمضان.

مـقـاهـي بـغـداد في رمـضـان

لم يتعرف الناس البسطاء في مدن وأرياف العراق (عدا مراكز المدن المهمة) في أواخر الدولة العثمانية على المسرح ، ولم يكن العراق يملك النوادي الثقافية والاجتماعية بالمعنى الذي نعرفه الآن حتى بداية منتصف القرن التاسع عشر ، وكان العامة يتسلون في اوقات فراغهم في المقاهي والخانات ، إما لتصريف المصالح فيما بينهم ، او للتسلية ، اقصد بالعامة هنا الرجال بالتحديد في مجتمعنا الذكوري الذي كان يغلق ابواب ومنافذ اللهو العام على النساء ، و كان يمنعن من الخروج وحدهن بدون محرم الى الشارع او لزيارة الاقارب والجيران بدون سبب اضطراري موجب (المرض أو الموت).

لطيف حسن

وقد اشتهرت بغداد بكثرة مقاهيها وخاناتها العامرة، وقد وصفت بغداد و المدن العراقية آنذاك ، كما ذكر على الوردي ، بأنها اكثر مدن العالم في عدد مقاهيها وخاناتها نسبة لعدد سكانها ، ويصف السياح الغربيون الذين شاهدوا بغداد في تلك الفترة للدلالة على كثرة مقاهيها ، بأن هناك بين كل مقهى ومقهى ، يوجد مقهى .

ويعتبر يعقوب سركيس ان اول مقهى اسس في بغداد كان في عهد الوالي (جغاله زاده) صاحب الخان المعروف (بخان جغان) وذلك في عام ١٥٨٦ ومكانه الآن قرب المدرسة المستنصرية

كانت هذه المقاهي والخانات في البداية لايرتادها للهو الا المستهترون وطلاب اللذة ، وبنيت (الخانات منها تحديدا في عصور اسبق من العصر العباسي بكثير) كمراكز تجارية و لسكن واستراحة الأجانب من التجار والغرباء المارين الذين ينزلون في هذه الخانات للمكوث المؤقت فيها والاستراحة، ولتفريغ حمولتهم فيها وتصريفها بالجملة.

وكان من عادة اصحاب المقاهي استخدام الغلمان الحسني الطلعة لتقديم القهوة والمشروبات الى الزبائن ، و كانت تعزف في هذه المقاهي الجوق الموسيقية الغنائية التي كانت تسمى (بالجالغي) وكانوا في البداية يكيفون مكانا في المقهى الى ما يشبه خشبة المسرح سمي (بالتخت) نسبة الى مصاطب المقهى (التخوت) التي كانت عريضة ومتينة تجمع كل اثنتين منهما مع بعض وتستخدم كمنصة ، يجلس عليها العازفون ومغني المقام او البستة ثم اصبحت كلمة (التخت) تعني الجوقة الموسيقية والكورس ، ويذكر يوسف العاني عن هذه المقاهي في ايامه انه لم يكن مسموحا للشباب ارتياد المقهى الا بعد ان تظهر لحاهم .

كان المقهى هو المكان الوحيد الذي يجمع البالغين من الرجال في اوقات فراغهم ، فإضافة الى انه كان مكاناً لتبادل الاخبار وقضاء الوقت واللهو ، و اللقاء بالاصدقاء (الزكرتيه) العزاب الذين كان من المتعذر في ذلك الوقت دعوتهم الى البيت الذي فيه حريم .والمقهى ايضا كان مقرا لتصريف وتنظيم وتنسيق الاعمال فيما بين التجار او الحرفيين او حتى اصحاب الهواية الواحدة ، وكان يجتمع في هذه المقاهي رواد من نوعية واحدة ، كأن يكونوا من صنعة وحرفة واحدة ، وكانت المقاهي تسمى باسم روادها كمقهى التجار ومقهى البناية ومقهى المطيرجية ، وكانت هذه المقاهي تتنافس فيما بينها لجذب الزبائن اليها باستئجار المغنين وقراء المقام المعروفين في ذلك الزمان ، والقصخونية رواة الحكايات والقصص والملاحم الشعبية ، وكانت تقدم بعضها عروض (القره قوز) و(خيال الظل)، وتختص بعضها في اقامة مباريات صراع الديكة والكباش ، وقسم آخر منها يملك الجفر لالعاب الزورخانة ، وتنشغل جميع هذه المقاهي في سهرات ليالي رمضان بلعبة (المحيبس) الشعبية .

هكذا كان حال المقاهي في العراق حتى بداية القرن الماضي ، الا ان بعض هذه المقاهي (لاسيما في منطقة الميدان في بغداد) طورت عروضها وما كانت تقدمها للزبائن على غرار ماكان موجودا في حلب وايران من ملاهي ، فاستقدمت راقصات ومغنيات من سوريا ولبنان ومصر ، وكان هذا الاستقدام يعتبر تحولا نوعيا في الإخلاق الاجتماعية العامة ، وإقبالا منقتحاً على فنون كانت ممنوعة علنا باعتبارها من المفاسد والكفر .

وتحت تأثير هذا التطور الاجتماعي، غيرت هذه المقاهي شكل بنائها بحيث وفرت في المقهى اماكن خاصة للرقص أشبه بخشبة المسرح سميت (بالمرقص) وتحول بعضها فعلا الى ملهى ، مثل مقهى سبع في الميدان ، الذي تحول اسمه الى ملهى سبع .

يقول عبد الكريم العلاف انه كان اول مقهى اقيم فيه مرقص هو (مقهى سبع) الواقع في الميدان وكان ذلك في عام ١٩٠٧ ، وجاء سبع بالغلمان المخنثين الذي يسمى الواحد منهم بالعامية (شعار)... ، لربما جاءت التسمية من انهم كانوا يطيلون شعور رؤوسهم ويزيلون ويحفون الشعر عن وجوههم وسيقانهم كما تفعل النساء ، ويلبسون الفساتين النسائية .

ويؤكد معظم المؤرخين انه لم تصعد على المرقص في هذه المقاهي امرأة إلا في عام ١٩٠٨ ، عندما قدمت الى بغداد من حلب راقصة يهودية تدعى (رحلو) بنت فريدة العراطة الملقبة (جرادة) بدأت ترقص في (مقهى سبع) ، ثم بدأ ت باقي المقاهي تقلد مقهى سبع بجلب الراقصات والمطربات للعمل في مراقصها من الشام ولبنان ومصر .و توالت فيما بعد المقاهي التي وفرت فيها منصات الرقص ، على شاكلة مقهى سبع ، كمقهى العزاوي ومقهى السواس وغيرها من المقاهي .

جرى كل هذا التطورفي مجال اللهو في بغداد ، قبيل قيام الحرب العالمية الاولى ، وبقي لفترة طويلة هو المعبر عن مفهوم (الشانو) او نمر الفودفيل التمثيلية الهزلية المسماة (بالاخباري) وهو من فنون الشارع الشعبي الذي انتقل الى (المقاهي والملاهى) تقدم في الاماسي مع الطرب كنمرة ترفيهية عن الزبائن ، و أخذت تقدم يوميا (في الملاهي) كفقرة ختامية لحفلاتها .وتحولت هذه المقاهي والملاهي وعروض الشانو، الى مايشبه الارضية والقاعدة التي انعشت بذرة تمثيليات التسلية والكوميدية الساخرة ، فعندما وفد المسرح الدرامي الى العراق في نفس هذه الفترة ، كان هذا هو الجو الفني السائد، و كان المفهوم الشائع عن التمثيل بين الناس ، هو فن (الشانو) ، وقد شاب منذ البداية نظرة الناس الى رجال المسرح الاوائل والى مهنتهم الاحتقار الشديد على أساس هذه الخلفية ، وكانوا يشبهون الممثل تحقيرا في ذلك الزمان (بالشعار) واعتبروهم اجتماعيا (الكل على حد سواء) عبارة عن مجموعة من الوضعاء و المنحطين اخلاقيا ، و ورسميا كانت لاتؤخذ شهاداتهم في المحاكم ، واجتماعيا لا يزوجون من بنات العوائل .

اخذت هذه المقاهي وغيرها من دور الملاهي تقدم بانتظام نمر (الاخباري) ، وهي نمر تمثيلية فطرية ساخرة تقدم ارتجالا ، لها قواعدها وتقاليدها في الصنعة ، كانت تقدم في الاسواق والشوارع ، من قبل جماعة من الاهالي ، هواة من غير المحترفين ، يختارون حدثا آنيا ما في المدينة ، يعيدون تشخيص هذا الحدث اليومي المختار بشكل هزلي ساخر مبالغ فيه ممزوج بالنكتة البذيئة والرقص والحركات الماجنة ، ويعلقون على الحدث وقد يبدون منه موقفا ، واكثر هذه الاحداث احداث سياسية او وقائع اجتماعية . هو باختصار فن شعبي ناقد بشكل جارح لبعض مظاهر الحياة الأجتماعية المعيشة، يتصف بالعفوية و الفطرية ، غارق في القدم ، من فنون شوارع القرون الوسطى يصعب تحديد بداياته بدقة .

يعرف الاب الكرملي الاخباري بما يأتي (.... قوم من العامة يعرفون بالإخباريين او الإخباريات ، وهم قوم يتشبهون بالعلماء ، وفي زيهم وعملهم استهزاء بأهل العلم ، فيلقي احدهم احاجي على صاحبه ، او صاحبته وتلك الاحاجي بذيئة ، فاذا جاء تفسيرها ، أو أحسن التلفظ بما عسر من ألفاظها المتكررة ، ألقى عليه بأحجية ثانية ، حتى يسقط، واذا سقط ، يجيل في وسط المجلس ويرقص رقصا مخلا بالآداب ، والظاهر ان الاخباري هو من يروي الاخبار ، والظاهر ان (الأخباري) له جذور تاريخية في الوجود ، لذلك نجد ان سعد التفتزاني (٧٩٣ ه –١٣٩٠م) في شرحه العقيدة النفسية ينص على ان " لوجلس احد في مكان مرتفع ، وحوله جماعة يسألونه في مسائل مضحكة ، ويضربونه بالوسائد بعد اخبارهم ، يكفرون جميعا ، كذلك نجد في (غالية المواعظ) لخيرالدين نعمان الآلوسي (١٣١٧ ه – ١٨٩٩ م) ما يأتي :- رجل يجلس في مكان مرتفع ويسألون منه مسائل بطريقة الاستهزاء ، ثم يضربونه بالوسائد ، فأنهم كفروا جميعا ، وكذا لو لم يجلس في مكان مرتفع ، وكذلك اذا تشبه المضحك المذكور بقاض او مفت او خطيب او نحوهم ، وهذا الفعل شائع في زماننا ، ويسمون المضحك المذكور (بالأخباري) مع انه المطابق للحال تسميته (بالأكفاري) فـ (إنا لله وإنا إليه راجعون).